



ذکر اللہ تعالیٰ

إعداد

الدكتور عصام الدين إبراهيم النُّقيلي



ذُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى

إعداد

الدكتور عصام الدين إبراهيم النُّقيلي



يا ناظرًا فيما عمدتُ لجمعِهِ * عذرًا فإنَّ أخا البصيرة يعذرُ
واعلمْ بأنَّ المرءَ لو بلغَ المدى * في العُمُرِ لاقى الموتَ وهو مقصَّرُ
فإذا ظفرتَ بزَلَّةٍ فافتحْ لَهَا * بابَ التَّجَاوُزِ فَالتَّجَاوُزُ أَجْدَرُ
ومنَ المحالِ بأن نرى أحداً حوى * كُنْهَ الكَمالِ وذا هو المتعذرُ⁽¹⁾

(1) عَلمُ الدِّينِ القَاسِمِ بِنِ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيِّ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".

إِنَّمَا دَلِيلُكُمْ عَلَى الْبِرِّ إِحْسَانُ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا مَعْرُوفًا

{الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}

[الرعد: 28]

مقدمة

إن الحمد لله

نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:

. [102]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد: "فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار⁽¹⁾."

(1) أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار أتتكم الساعة بغتة - بعثت أنا والساعة هكذا - صبحتكم الساعة ومستكم - أنا أولى بكل مؤمن من نفسه - من ترك مالا فإلهه - ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ - وأنا وليّ المؤمنين.

الراوي: جابر بن عبد الله، المصدر: صحيح الجامع، الرقم: 1353.

التخريج: أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/188)، وأحمد (3/310) باختلاف يسير.

وبعد:

قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالذِّكْرِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِعِ وَأَثْنَى عَلَى الذَّاكِرِينَ،
وَذَكَرَ ثَوَابَهُمُ الْجَزِيلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَى، وَكَذَلِكَ تَوَعَّدَ الْمَعْرِضِينَ عَنِ الذِّكْرِ بِالْعِقَابِ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ
وَإِلْبَاقًا} [آل عمران: 41].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا} [الأحزاب: 41، 42].

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا
هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
ذِكْرًا} [البقرة: 198: 200].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى
جُنُوبِكُمْ} [النساء: 103].

وَأَثْنَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذَّاكِرِينَ بِقَوْلِهِ:

{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: 190 - 191].

وَقَالَ تَعَالَى: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ} [النور: 37].

وتوعّد سبحانه المعرضين عن الذكر بقوله: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الزمر: 22].

وقال تعالى: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: 36].

وقال سبحانه: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ} [المجادلة: 19].

وقال جلّ علا: {يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142].

وكلّ ما سبق دليل على عظيم فضل الذكر، وسنتعرّف في هذا المبحث عن معنى الذكر، وأقسامه وأنواعه، وفضل الذكر وجزاء الذاكرين، عقاب المعرضين عن الذكر وغير ذلك من المطالب التي سنتناولها في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

وكتب

الدكتور عصام الدين إبراهيم النُّقيلي

{مفهوم الذكر}

المعنى اللغوي للذكر:

(ذ ك ر) الدَّالُّ والكافُ والرَّاءُ أصلان، عنهما يتفرَّعُ كَلِمُ البابِ.

فالأصلُ الأوَّلُ: الذَّكْرُ (بالفتح): خلافُ الأُنثى، والأصلُ الآخِرُ: الذَّكْرُ (بالكسر):

الحفظُ للشَّيءِ، تذكُّرُهُ، والذَّكْرُ: جريُّ الشَّيءِ على اللِّسانِ، وذَكَرَتِ الشَّيءَ: خلافُ

نسيتهُ، ثمَّ حُمِلَ عليه الذَّكْرُ باللِّسانِ، ويقولونَ: اجعلهُ منك على ذُكْرٍ، بضمِّ الدَّالِ،

أي: لا تنسهُ، والذَّكْرُ: العلاءُ والشَّرْفُ، وهو قِياسُ الأصلِ.

فعلى الأصلِ الثَّانِي (الذَّكْرُ) بالكسرِ له معنيان:

أحدهما: التلَفُّظُ بالشَّيءِ.

والثَّانِي: إحضارُهُ في الذَّهْنِ، بحيثُ لا يغيبُ عنه، وهو ضدُّ النِّسيانِ. و(الذَّكْرُ) بالضمِّ

للمعنى الثَّانِي لا غيرَ، أي: أنَّ الذَّكْرَ بالكسرِ ما يكونُ باللِّسانِ، وبالضمِّ ما يكونُ

بالجنانِ.

وإذا أريدَ بالذَّكْرِ الحاصلُ بالمصدرِ جمعَ على (أذكارٍ) وهو الإتيانُ بألفاظٍ وردَّ

التَّرجيبُ فيها، ويُطلقُ ويُرادُ به المواظبةُ على العملِ بما أوجبَ أو نَدبَ إليه، كالتَّلاوةِ،

وقراءةِ الأحاديثِ، ودرسِ العلمِ، والنَّفْلِ بالصَّلَاةِ⁽¹⁾.

(1) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ٩٤/١٠ - ومقاييس اللغة، ابن فارس ٣٥٨/٢ - وتاج العروس، الزبيدي ٣٨٧/١١.

المعنى الاصطلاحي للذكر:

قال ابن علان: أصلُ الذكر هو ما تعبَدنا الشَّارعُ بلفظه، ممَّا يتعلَّقُ بتعظيمِ الحقِّ، والشَّناءِ عليه⁽¹⁾.

ونجدُ أنَّ الذكرَ عندَ ابنِ تيميَّةَ واسعُ الدَّلالةِ؛ إذ هو عندهُ: كلُّ ما تكلمَ به اللِّسانُ، وتصورَهُ القلبُ، ممَّا يقربُ إلى الله من تعلُّمِ علمٍ، وتعليمِهِ، وأمرٍ بمعروفٍ، ونهيٍ عن منكرٍ فهو من ذكرِ الله؛ ولهذا من اشتغلَ بطلبِ العلمِ النَّافعِ بعدَ أداءِ الفرائضِ، أو جلسَ مجلسًا يتفقَهُ، أو يفقهه فيه الفقهَ الذي سمَّاهُ اللهُ ورسولهُ فقهًا، فهذا أيضًا من أفضلِ ذكرِ الله⁽²⁾.

وعرَّفَهُ ابنُ القيمِ في الوابلِ الصَّيبِ بقوله: الذكرُ ثناءٌ على الله عزَّ وجلَّ بجميلِ أوصافِهِ وآلائِهِ وأسمائِهِ⁽³⁾.

والمقصودُ: أنَّ الذكرَ في الاصطلاحِ يُستعملُ بمعنى ذكرِ العبدِ لربِّه عزَّ وجلَّ، سواءً بالإخبارِ المجرَّدِ عن ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامِهِ، أو بتلاوةِ كتابِهِ، أو بمسألتِهِ ودعائه، أو بإنشاءِ الثَّناءِ عليه بتقديسه، وتمجيدِهِ وتوحيدِهِ وحمدهِ وشكرِهِ، وتعظيمِهِ، ويستعملُ الذكرُ اصطلاحًا بمعنى أخصَّ من ذلك، فيكونُ بمعنى إنشاءِ الثَّناءِ بما تقدَّم دونَ سائرِ المعاني الأخرى المذكورة، ويشيرُ إلى الاستعمالِ بهذا المعنى الأخصَّ قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت: 45].

(1) الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية ٣٩٦/١.

(2) مجموع فتاوى ابن تيميَّة ٦٦١/١٠.

(3) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٩.

فبعد أن ذكر الصلاة وهي ذكر بالمعنى العام، قال بعدها: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) أي:
بالمعنى الأخص.

ويلحظ أن الذكر اصطلاحاً مخصوصٌ بذكر العبدِ ربّه عزَّ وجلَّ، بالثناءِ عليه.
ووردت مادةٌ (ذكر) في القرآن الكريم (242) مرّةً⁽¹⁾.

وجاء الذكر في القرآن على ثمانية أوجه:

الأوّل: الطاعة والعمل الصالح، قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: 152]، يعني:
اذكروني بالطاعة وأطيعوني، أذكركم بخير.

الثاني: الحفظ، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا
آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 63]، يعني: احفظوا ما في التوراة.
الثالث: التوحيد، قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124]، يعني: عن توحيدِه سبحانه، وقال القرطبي: ومن أعرضَ
عن ذكري أي ديني...⁽²⁾.

الرابع: الشرف، قال تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء: 10]، يعني:
شرفكم.

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٧٠ - ٢٧٥..

(2) تفسير القرطبي.

قال الطبري: وقال آخرون: بل عني بالذکر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معني الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه شرفكم، وهذا القول الثاني أشبه بمعني الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه⁽⁷⁾.

الخامس: الوعظ، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} [الأنعام: 44]، يعني: ما وعظوا به.

السادس: الخبر، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرَيْنِ ۗ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: 83]، يعني: خبراً.

السابع: الوحي، قال تعالى: {أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا} [ص: 8]، يعني: الوحي.

الثامن: البيان، قال تعالى: {ص ۙ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص: 1]، يعني: ذي البيان⁽¹⁾.
قال القرطبي: قال ابن عباس ومقاتل: معني ذي الذکر ذي البيان⁽²⁾⁽³⁾.

(1) تفسير الطبري.

(2) تفسير القرطبي.

(3) انظر: الوجوه والنظائر في القرآن، مقاتل بن سليمان، ص ٥١ - ٥٥، الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٢١٧ - ٢٢٠، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٣٠١ - ٣٠٥.

الألفاظ ذات صلة بالذكر:

التسبيح:

التسبيح لغة:

تدلُّ مادَّةُ (سبح) على التَّنْزِيهِ والتَّبَرُّةِ مِنَ الشُّوْءِ.

ومعنى: (سُبْحَانَ اللَّهِ): تَنْزِيَهُ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرَاءَتُهُ مِنَ الشُّوْءِ⁽¹⁾.

التسبيح اصطلاحًا:

التَّنْزِيَهُ وَالتَّعْظِيمُ لِلَّهِ تَعَالَى⁽²⁾.

الصِّلَةُ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالدُّكْرِ:

أَنَّ الدُّكْرَ أَعْمٌ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّسْبِيحُ أَخْصٌ مِنَ الدُّكْرِ، فَكُلُّ تَسْبِيحٍ ذِكْرٌ وَلَيْسَ الْعَكْسُ.

الدُّعَاءُ:

الدُّعَاءُ لغة:

مَأْخُودٌ مِنْ مَادَّةِ (د ع و) الَّتِي تَدُلُّ فِي الْأَصْلِ عَلَى إِمَالَةِ الشَّيْءِ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ، وَمِنْ هَذَا الْأَصْلِ الدُّعَاءُ فِي مَعْنَى الرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ وَاحِدٌ الْأَدْعِيَةِ، وَالْفِعْلُ مِنْ ذَلِكَ دَعَا يَدْعُو، وَالْمَصْدَرُ الدُّعَاءُ وَالدَّعْوُ⁽³⁾.

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١٢٥/٣، لسان العرب، ابن منظور ١٩١٤/٣.

(2) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٢٢٣، لسان العرب، ابن منظور ٤٧٢/٢.

(3) انظر: الصحاح، الجوهري ٦ / ٢٣٣٧، مقاييس اللغة، ابن فارس ٢٨٠/٢.

الدُّعَاءُ اصطلاحًا:

هُوَ سُؤَالُ الْعَبْدِ رَبَّهُ حَاجَتَهُ، وَقَدْ سَبَقَ تَعْرِيفُهُ فِي أَبْوَابِ سَابِقَةٍ.

الصَّلَاةُ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ:

بَيْنَهُمَا عَمُومٌ وَخُصُوصٌ، فَكُلُّ دُعَاءٍ ذِكْرٌ لِلَّهِ، وَلَيْسَ كُلُّ ذِكْرٍ دُعَاءً.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ ذِكْرٌ لِلْمَدْعُوِّ سُبْحَانَهُ، مُتَضَمِّنٌ لِلطَّلَبِ مِنْهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ

بِأَسْمَائِهِ وَأَوْصَافِهِ، فَهُوَ ذِكْرٌ وَزِيَادَةٌ، كَمَا أَنَّ الذِّكْرَ سَمِّيَ دُعَاءً لِتَضَمُّنِهِ الطَّلَبِ، كَمَا

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ"، فَسَمِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ دُعَاءً،

وهُوَ ثَنَاءٌ مُحَضَّرٌ؛ لِأَنَّ الْحَمْدَ يَتَضَمَّنُ الْحَبَّ وَالثَّنَاءَ، وَالْحَبُّ أَعْلَى أَنْوَاعِ الطَّلَبِ

لِلْمُحْبُوبِ، فَالْحَامِدُ طَالِبٌ لِمُحْبُوبِهِ، فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُسَمَّى دَاعِيًا مِنَ السَّائِلِ الطَّالِبِ

مِنْ رَبِّهِ حَاجَةً مَا (1).

وَيَنْدَرُجُ تَحْتَ مَسْمَى الذِّكْرِ كُلُّ قَوْلٍ بِاللِّسَانِ يُرَادُ بِهِ الْقُرْبَةُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

كَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، كَمَا يَنْدَرُجُ تَحْتَ

مَسْمَى الذِّكْرِ كُلُّ الْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا الْقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَالصَّلَاةِ وَالْجِهَادِ

وَالْحَجِّ وَغَيْرِهِ، كَمَا يَنْدَرُجُ تَحْتَ مَسْمَى الذِّكْرِ كُلُّ الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا وَجْهَ

اللَّهِ تَعَالَى كَالْتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهِ، وَنَخْلَصُ مِنْ هَذَا الْمَبْحَثِ أَنَّ

الذِّكْرَ كَمَا عَرَّفَهُ السَّعْدِيُّ: عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا يَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ: مِنْ عَقِيدَةٍ،

أَوْ فِكْرٍ نَافِعٍ، أَوْ خَلْقٍ جَمِيلٍ، أَوْ عَمَلٍ قَلْبِيٍّ أَوْ بَدَنِيٍّ، أَوْ ثَنَاءٍ عَلَى اللَّهِ، أَوْ تَسْبِيحٍ

وَنَحْوِهِ، أَوْ تَعَلُّمِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الْأَصُولِيَّةِ وَالْفُرُوعِيَّةِ، أَوْ مَا يَعِينُ عَلَى ذَلِكَ، فَكُلُّهُ

دَاخِلٌ فِي ذِكْرِ اللَّهِ.

(1) بدائع الفوائد 9/3.

{أنواع الذكر}

1 - الذكر المطلق.

2 - الذكر المقيّد.

إنّ الأذكار تنقسم إلى قسمين:

أذكارٌ مطلقةٌ، وأذكارٌ مقيّدةٌ، وجمع ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: 41-42]، فأطلق الذكر بقوله (ذِكْرًا كَثِيرًا) وقيّده في الثانية بقوله (بُكْرَةً وَأَصِيلًا).

- فالذكر المطلق: أن تذكر الله تعالى على كلّ حالٍ بلا وقتٍ محدّدٍ ولا وصفٍ

محدّدٍ ولا مكانٍ محدّدٍ، ويكون ذلك قائماً أوقاعداً أو على جنبٍ، كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: 191].

وأخرج مسلمٌ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يذكّر الله على كلّ أحيانه⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لأنّ أقول: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ"⁽²⁾.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَيَّ اللَّهُ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه مسلم.

(3) أخرجه مسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ" (1).

وَكُلُّ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَذْكَارِ الَّتِي نَدَبَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ تَقَيَّدْ بِزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حَالٍ، فَهِيَ أَذْكَارٌ مُطْلَقَةٌ، تُذَكَّرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى أَيِّ حَالٍ.

– وَأَمَّا الذُّكْرُ الْمُقَيَّدُ فَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

1) مُقَيَّدٌ بِزَمَانٍ.

2) مُقَيَّدٌ بِمَكَانٍ.

3) مُقَيَّدٌ بِعَدَدٍ.

4) مُقَيَّدٌ بِحَالٍ.

وَهَذَا التَّقْيِيدُ قَيْدُهُ الشَّارِعُ، فَيُنْدَبُ التَّقْيِيدُ بِهِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْوَجُوبِ.

فَأَوَّلُهُ الْمُقَيَّدُ بِزَمَانٍ: كَأَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، فَأَمَّا أَذْكَارُ الصَّبَاحِ فَيُقَيَّدُ وَقْتُهَا مِنْ طُلُوعِ

الْفَجْرِ إِلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى، وَأَذْكَارُ الْمَسَاءِ مِنْ

العَصْرِ إِلَى الْمَغْرَبِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ إِلَى ثَلَاثِ اللَّيْلِ، وَالْأَمْرُ فِي هَذَا وَاسِعٌ، لَكِنَّ

الصَّحِيحَ الرَّاجِحُ أَنَّهُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ، اسْتِنَادًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق: 39]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه: 130]، وَبِهِ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: قَالَ تَعَالَى:

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ

(1) متفق عليه.

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ)، وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: مَنْ قَالَ كَذَا وَكَذَا حِينَ يَصْبِحُ، وَحِينَ يُمَسِّي، أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَأَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ مَا بَيْنَ الصُّبْحِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ، وَمَا بَيْنَ الْعَصْرِ وَالْغُرُوبِ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) [عافر: 55]، وَالْإِبْكَارُ أَوَّلُ النَّهَارِ، وَالْعَشِيُّ آخِرُهُ، وَأَنَّ مَحَلَّ هَذِهِ الْأَذْكَارِ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ⁽¹⁾.

مَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَعْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: "أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ"⁽²⁾.

هَذَا قِيَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الذِّكْرَ بِزَمَانٍ مُحَدَّدٍ وَهُوَ الْمَسَاءُ.

وَالثَّانِي الْمَقْيَدُ بِمَكَانٍ: كَأَذْكَارِ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ، الخ... مَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ"⁽³⁾. وَهَذَا قِيَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الذِّكْرَ بِمَكَانٍ أَلَا وَهُوَ الْمَسْجِدُ.

وَالثَّلَاثُ الْمَقْيَدُ بَعْدُ: مَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَزَادَ عَلَيْهِ"⁽⁴⁾.

(1) ملخصاً من الوابل الصيب (200) ويراجع شرح الأذكار النووية لابن علان (3 / 74 ، 75 ، 100).

(2) أخرجه مسلم.

(3) أخرجه مسلم.

(4) صحيح الجامع.

وهنا قيّد رسولُ الله ﷺ هذا الذّكرَ بعددِ وزمانٍ كما هو واضحٌ.
والرّابعُ المقيّدُ بحالٍ: كالأذكارِ حالِ المرضِ وغيره، ومن ذلك ما رواه كعبُ بنُ مالكٍ
عنِ النبيِّ ﷺ قال: "إذا وجدَ أحدُكم ألمًا فليضعَ يده حيث يجدُ ألمه ثم ليقلْ سبعَ
مراتٍ: أعوذُ بعزةِ الله وقدرته على كلِّ شيءٍ من شرِّ ما أُجدُ وأُحاذِرُ"⁽¹⁾. وهنا قيّدَ
رسولُ الله ﷺ هذا الذّكرَ بحالِ المرضِ والعددِ.

(1) إتحاف الخيرة المهرة.

{حکم ذکر اللہ تعالیٰ}

حکم ذکر اللہ تعالیٰ الوجوب، وذلك من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلَسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ" (1).

وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَعَدَ مَقْعِدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً، وَمِنْ اضْطَجَعَ مُضْجَعًا لَا يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مِمَّنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً" (2).

وعنه عن النبي ﷺ قال: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلَسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ" (3).

فقوله ﷺ: (إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ) يدلُّ بظاهره على وجوب الذكر في كلِّ مجلس، لأنَّ العذاب والمغفرة لا يكونان إلا عن ذنب، إمَّا بترك واجب، وإمَّا بفعل محرَّم، قال ابنُ علان رحمهُ اللهُ تعالیٰ: (فإن شاء عذبهم) جزاء ما قصرُوا في ذلك بتركها (وإن شاء غفر لهم) ذلك النَّقص، وهذا يقتضي وجوب وجود الذكر والصلاة على النبي ﷺ في المجلس، لأنَّه رتب العذاب على ترك

(1) أخرجه أبو داود (4855)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10241)، وأحمد (10680) باختلاف يسير، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (207/7) واللفظ له.

(2) أخرجه أبو داود (4856)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10237).

(3) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ذلك وهو آية الوجوب، ولم أرَ من ذكرَ عنه القولَ بوجوب ذلك في كلِّ مجلسٍ،
والحديثُ يقتضيه⁽¹⁾.

قال ابنُ دقيقِ العيدِ: وقد اتَّفَقوا على وجوبِ الصَّلَاةِ على النبيِّ ﷺ فقيل: تجبُ في
العمرِ مرَّةً وهو الأَكْثَرُ⁽²⁾.

وجاءَ في حاشيةِ العدويِّ والفواكهِ الدَّواني على رسالةِ ابنِ أبي زيْدِ القيرواني: وحكمُ
الصَّلَاةِ والسَّلَامِ على سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ الوجوبُ في العمرِ مرَّةً وكذلك الحمدُ لله، وما
زادَ على ذلك فهو مستحبُّ أو سنَّةٌ، ومما هو واجبٌ في العمرِ مرَّةً الاستغفارُ
والتَّهليلُ والتَّسيحُ والتَّكبيرُ والتَّعوُّذُ والحوقلَةُ والدُّعاءُ للوالدينِ وللسَّلفِ الصَّالحِ.

وقد نظم ذلك بعضُ الفضلاءِ فقال:

هاك جميعَ ما من القولِ يجبُ * في العمرِ مرَّةً وما زادَ استحبُّ
بسملةً حمدلةً والهليلُ * استغفرِ الله، كذا والحوقلَةُ
والحكمُ في التَّسيحِ والتَّكبيرِ * كذا، وتعوُّذُ بدأ القديرِ
كذا الصَّلَاةُ معها السَّلَامُ * على الذي اقتدي به الأنامُ
لولديكَ المؤمنينَ استغفـرا * حيَّينِ أو ميِّتينِ ذاكَ استظهرا
وجوبُهُ في العمرِ مرَّةً، كما * يجبُ مرَّةً لمن تقدَّما
من سلفٍ إن كانَ صالحًا، نقلُ * إمامنا العدويِّ ذَا، فلتمثل⁽³⁾.

(1) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (127/6).

(2) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

(3) منقول من العقد الجوهري على النظم المسمى العبقري للطاهر بن عبد المعطي السباعي الإدريسي الحسني.

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

هنا أمر الله تعالى أهل الإيمان بالصلاة على الرسول ﷺ بعد أن حدث عن نفسه
وملائكته بأنهم يصلون عليه توكيداً للأمر، والأمر في أصله يقتضي الوجوب ومع
التوكيد يرتقي إلى أعلى درجات الوجوب.

قال القرطبي: ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وفي كل حين من
الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه⁽¹⁾.

ومن المعلوم أن الصلاة على الرسول ﷺ من جملة الأذكار فإن كانت الصلاة على
الرسول ﷺ واجبة فإن ذكر الله الخالص من باب أولى، أي هو أولى بالوجوب.

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142].

قال السعدي: (لا يذكرون الله إلا قليلاً) لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله
تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته⁽²⁾.

(1) تفسير القرطبي.

(2) تفسير السعدي.

فيكفي المؤمن تخويفاً أن يكون مثل المنافقين، هذا إن لم يكن منهم بترك ما أمر به من الذكر.

والأوامر بالذكر على التفصيل في القرآن تكاد تكون شاملة لكل الذكر، قال تعالى:

1 {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وُلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا ۗ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111].

2 وقال سبحانه: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: 19].

3 وقال جل جلاله: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر: 38].

4 وقال سبحانه وتعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} [الإسراء: 110].

5 وقال جل وعلا: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} [النمل: 559].

6 وقال تبارك وتعالى: {وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [آل عمران: 41].

7 وقال تعالى: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف:

39].

ففي هذه الآيات أوامر مباشرة صريحة تشير إلى وجوب الذكر،

ففي الآية الأولى: أمر سبحانه بالحمد والتكبير.

وفي الثانية: أمر تعالى بتعلم لا إله إلا الله، وهو أعلى من مجرد التلفظ بها، وأمر في

ذيلها بالاستغفار.

وفي الآية الثالثة: أمر بالحسبة.

وفي الرابعة: أمر بالدعاء عموماً ولا يخفى وجوب الدعاء على مؤمن.

وفي الخامسة: أمر بالدُّعاءِ لعبادِ اللهِ الصَّالحينَ بِالسَّلَامَةِ ممَّا يخافونَ بقوله تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) فمعنى "السَّلَام" هو دعاءٌ بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، وبه قال ابن عثيمين: قوله: السَّلَامُ عَلَيْكَ، السَّلَامُ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالسَّلَامِ: اسْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ... (1)" كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ} [الحشر: 23]، وَبِنَاءٍ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بِالْحِفْظِ وَالْكَلاَةِ وَالْعِنَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَكأننا نقولُ: اللَّهُ عَلَيْكَ، أَي: رَقِيبٌ حَافِظٌ مُعْتَنٍ بِكَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَقِيلَ: السَّلَامُ: اسْمٌ مُصَدَّرٌ سَلَّمَ بِمَعْنَى التَّسْلِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56] فمعنى التَّسْلِيمِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ: أَنَّنَا نَدْعُو لَهُ بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ (2).

وفي الآية السادسة: أمرَ سبحانه بالتَّسْبِيحِ أمرًا مباشرًا.

(1) صحيح البخاري.

(2) الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

وفي الآية الأخيرة: أمر بالحوقة.

فكلُّ هذه الأوامر تقتضي الوجوب وهذا مجمعٌ عليه، لكن هل هذا الوجوب هو مرّة في العمر كما قالوا؟ الصّحيح أن الأمر فيه تفصيلٌ، فليس كلُّ الذّكر يجب مرّة في العمر، بل من الأذكار ما هو مرتبطٌ بحال المسلم، فالتسمية واجبةٌ كلّ ما أراد المسلم الطّعام، إلّا لما أمر الرسول ﷺ بقضائها لمن نسيها، فعن عائشة مرفوعاً: إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: بسم الله، فإن نسي في أوله، فليقل: بسم الله في أوله وآخره⁽¹⁾، وقال في الهدي: والصّحيح وجوب التسمية عند الأكل وهو أحد الوجهين لأصحاب أحمد، وأحاديث الأمر بها صحيحةٌ صريحةٌ لا معارضة لها ولا إجماعٌ يسوّغ مخالفتها ويخرج عن ظاهرها⁽²⁾.

والصلاة على رسول الله ﷺ واجبةٌ كلّ ما ذكّر رسول الله ﷺ، فإن المسلم مطالبٌ بالصلاة على النبي ﷺ كلّما ذكر اسمه، ولو كثّر ذلك، بل ذهب بعض العلماء كابن عبد البر من المالكية، وابن بطة من الحنابلة، إلى وجوب الصلاة عليه ﷺ كلّما ذكّر، بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رغم أنف رجلٍ ذكّرتُ عنده، فلم يصل عليّ"⁽³⁾.

ويدلُّ على المطالبة بالصلاة عليه ﷺ كلّما ذكّر، حديثُ عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "البخيلُ من ذكّرتُ عنده، فلم يصل عليّ"⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(2) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي.

(3) رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

(4) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وقال ابنُ علان: وأصلُ البخلِ إمساكُ الشيءِ عنِ مستحقِّهِ، وهوَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يستحقُّ على أُمَّته أن يصلُّوا عليه، فمن أمسكَ منهم عنها كانَ أشَرَ الممسكين، وأشحَّ البخلاءِ المحرومين، فيُخشى عليه المقتَ والبوارَ، أجازنا اللهُ من ذلك⁽¹⁾.

والاستغفارُ واجبٌ على كلِّ من فعلَ ذنبًا، وهكذا على حسبِ الحالِ، فإن قلنا في الاستغفارِ بما جاءَ في حاشيةِ العدويِّ والفواكهِ الدَّواني على رسالةِ ابنِ أبي زيدٍ القيروانيِّ بأنَّ الاستغفارَ واجبٌ مرَّةً في العمرِ والمسلمُ لا يخلُوا من ذنبٍ لهلكةِ الأُمَّةِ قاطبةً، لكنَّ الصَّحيحَ أنَّ وجوبَ الذِّكرِ عمومًا يكونُ على حسبِ نوعِ الذِّكرِ وحالِ المسلمِ، وهذا أسلمٌ للمسلمِ أن يتركَ واجبًا مستمرًّا ظنًّا منه أنَّه يكفيهِ مرَّةً في العمرِ، فإن كانَ وهوَ مستبعدٌ أن يكونَ مرَّةً في العمرِ فقد فازَ بالنَّفْلِ وكثرةِ الحسناتِ، وبهذا يكونُ في كلاً الحالتينِ سالمًا، واللهُ أعلمُ.

(1) دليل الفالحين لابن علان.

{فوائد الذكر}

ذِكْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ، وَمَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

- أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوَّتْ الْقُلُوبِ، وَغَدَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَشَفَاءٌ مِنَ الْأَسْقَامِ.
 - وَذَكَرَ اللَّهُ يَلِينُ الْقَلْبَ وَيَقْوِي الْبَدْنَ، وَيَنْوِّرُ الْقَلْبَ وَالْوَجْهَ، وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَيُورِثُ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ.
 - وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْضِي الرَّحْمَنَ، وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَيَجْلِبُ الْخَيْرَ، وَيُزِيلُ الشَّرَّ، وَيَسْهَلُ الْحَزْنَ، وَيُزِيلُ الْحُزْنَ، وَييسِّرُ الْعَسِيرَ، وَيَذْهَبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَيُشْمَرُ الطَّمَأِينَةَ وَالسَّكِينَةَ.
 - وَذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً، وَيَكْسُوهُ وَمَهَابَةً.
 - وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُورِثُ حَيَاةَ الْقُلُوبِ، وَحَصُولَ الرِّزْقِ، وَنَزُولَ النَّصْرِ، وَمَغْفِرَةَ الدُّنُوبِ.
 - وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُورِثُ ذَكَرَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ، وَمَحَبَّةَ اللَّهِ لَهُ، وَالْأَنْسَ بِهِ، وَالْقُرْبَ مِنْهُ، وَرِضَاهُ عَنْهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّلَذُّدَ بِعِبَادَتِهِ، وَالْفَوْزَ بِجَنَّتِهِ.
- وَالْأَهَمُّ أَنَّ ذَكَرَ اللَّهِ تَعَالَى سَبَبٌ لِتَسْهِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ لَطَابِهِ، فَكَلِمًا ذَكَرَ الطَّالِبُ رَبَّهُ كَلِمًا انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاسْتَنَارَ عَقْلُهُ، فَقَبِلَ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِعَابِهَا غَيْرُهُ.
- فَالذُّكْرُ لَهُ فَوَائِدٌ جَلِيلَةٌ، شَامِلَةٌ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَوْصَلَهَا ابْنُ الْقَيْمِ فِي كِتَابِهِ "الْوَابِلُ الصَّيِّبُ" إِلَى أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِينَ فَائِدَةً، وَالَّذِي يَهْمُنَا هُنَا ذَكَرُ فَوَائِدِهِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ:

أولاً: ذكرُ الله عزَّ وجلَّ لعبدهِ الذاكرِ:

من أعظمِ فوائدِ الذِّكْرِ ذكْرُ اللهِ تعالى للذاكرِ، قالَ تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: 152].

فقوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي) الفاءُ هنا هي فاءُ السَّبِيَّةِ، وهي التي يكونُ ما قبلها سبباً لما بعدها، وهي للتَّفْرِيعِ، عاطفةٌ جملةُ الأمرِ بذكرِ اللهِ وشكره على جملِ النِّعمِ المتقدِّمةِ، أي: إذ قد أنعمتُ عليكم بهاته النِّعمِ فأنا آمركم بذكري.

وهذا الأمرُ (فَاذْكُرُونِي) جوابُهُ (أَذْكُرْكُمْ) وفيه: معنى المجازاة⁽¹⁾ والجزاءُ من جنسِ العملِ في الخيرِ والشرِّ.

قالَ أبو عثمان النَّهْدِيُّ: إِنِّي لأعلمُ حينَ يذكرني ربِّي عزَّ وجلَّ، قيلَ: كيفَ ذلكَ؟ قالَ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وإذا ذكرتُ اللهُ تعالى ذكْرني⁽²⁾، وقالَ الحكماءُ: إنَّما كانَ الذِّكْرُ أفضلَ الأشياءِ؛ لأنَّ ثوابَ الذِّكْرِ الذِّكْرُ، قالَ اللهُ تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)⁽³⁾.

(1) فتح القدير، الشوكاني ١/١٨٢.

(2) الكشف والبيان، الثعلبي ٢/٢١١.

(3) المصدر السابق ٧/٢٨٣.

والذِّكْرُ هُنَا يُحْمَلُ عَلَى الْعَمُومِ، فَيَشْمَلُ الذِّكْرَ بِاللِّسَانِ، وَهُوَ: الْحَمْدُ وَالتَّسْبِيحُ
والتَّمجِيدُ وقراءةُ كتابِ اللهِ، وبالقلبِ، وهو: الفِكرُ فِي الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّكْلِيفِ
والأَحْكَامِ، والأَمْرِ والنَّهْيِ والوَعْدِ والوَعِيدِ، والفِكرُ فِي الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ، والفِكرُ فِي
أَسْرَارِ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى...، وبالجوارِحِ بَأَنْ تَكُونَ مُسْتَغْرَقَةً فِي الأَعْمَالِ المَأْمُورِ
بِهَا، خَالِيَةً عَنِ الأَعْمَالِ المَنْهِيَّ عَنْهَا، وَعَلَى هَذَا الوَجْهِ سَمَّى اللهُ الصَّلَاةَ ذِكْرًا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ } [الجمعة: 9] (1).

وَسَمَّى الثَّوَابَ المَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ ذِكْرًا عَلَى سَبِيلِ المَقَابِلَةِ لِمَا كَانَ نَتِيجَةُ الذِّكْرِ
وَنَاشِئًا عَنْهُ سَمَّاهُ ذِكْرًا (2)، وَهَذَا ذِكْرُ العَبْدِ لِرَبِّهِ.
وَأَمَّا ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ: فَهُوَ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ فِي المَلَأِ الأَعْلَى بَيْنَ المَلَائِكَةِ، وَمِبَاهَاتِهِمْ
بِهِ، وَتَنْوِيهِهِ بِذِكْرِهِ (3).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَذْكَرَكُمْ بِرَحْمَتِي إِيَّاكُمْ، وَمَغْفِرَتِي لَكُمْ (4).
وَعَنِ السَّدِّيِّ قَالَ: لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَذْكَرُ اللهُ إِلَّا ذَكَرَهُ اللهُ، لَا يَذْكَرُهُ مُؤْمِنٌ إِلَّا ذَكَرَهُ
بِرَحْمَةٍ (5).

(1) البحر المحيط ٤٩/٢.

(2) المصدر السابق ٥٠/٢.

(3) تفسير ابن رجب الحنبلي ١٢٨/١.

(4) جامع البيان ٢١١/٣.

(5) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٩٦/٢.

فَإِذَا ذَكَرَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ وَجَدَ رَبَّهُ تَجَاهُهُ، وَكَأَنَّهُ بَتَفَلُّتِهِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ قَدْ بَعَدَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى،
فَإِذَا ذَكَرَ رَبَّهُ، وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ بِنُورِهِ السَّنِيِّ الْبَهِيِّ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ
شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ
هَرَوَلَةً⁽¹⁾، فَذَكَرَ اللَّهُ وَامْتَلَأَ الْقَلْبُ بِهَذَا الذِّكْرِ يَفِيضُ عَلَى الذَّاكِرِ أَنْوَارًا مِنْ جَلَالِ اللَّهِ
وَبِهَائِهِ، وَإِذَا هُوَ فِي حَمَى عَزِيزٍ لَا يُنَالُ، وَفِي ضَمَانٍ وَثِيقٍ مِنْ أَنْ يَهُونَ، أَوْ يَذَلَّ لِغَيْرِ
اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ...⁽²⁾.

ثَانِيًا: الْحَصُولُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ:

وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ: الْمَغْفِرَةُ، وَدُخُولُ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ"
إِلَى قَوْلِهِ: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب:
35].

فَالذَّاكِرُونَ اللَّهَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ وَالذَّاكِرَاتِ كَذَلِكَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
لذُنُوبِهِمْ، وَ(وَأَجْرًا عَظِيمًا) يَعْنِي: ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ عَظِيمًا؛
وَذَلِكَ الْجَنَّةُ⁽³⁾.

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ، بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، ٢٠٦٧/٤، رَقْمٌ ٢٦٧٥.

(2) انظُر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ١١٥/٧.

(3) المصدر السابق ٢٠٦٩/٢٠.

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً) أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب
الجليلة، التي هي ما بين اعتقادات وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان،
ونفع متعدٍ وقاصر، وما بين أفعال الخير وترك الشر الذي من قام بهن فقد قام بالدين
كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان، فجازاهم على عملهم بالمغفرة
لذنوبهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات (وَأَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدر قدره إلا الذي
أعطاه، ممَّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن
يجعلنا منهم⁽¹⁾.

ثالثًا: الفلاح:

ومن فوائد الذكر: الحصول على الفلاح، وهو الفوز بالمطلوب، والنَّجاة من
المرهوب.

قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: 10].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ} [الأنفال: 45].

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٦٥.

وقد علم الله عباده هنا في هذه الآية الثانية إذا التقوا بالفئة (وهي الجماعة من المحاربين) نوعين من الأدب، الأول: الثبات، وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي، والثاني: أن يذكروا الله كثيراً، وفي تفسير هذا الذكر قولان:

القول الأول: أن يكونوا بقلوبهم ذاكرين الله، وبألسنتهم ذاكرين الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله أولياءه بذكره في أشد أحوالهم تنبيهاً على أن الإنسان لا يجوز أن يخلي قلبه ولسانه عن ذكر الله، ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال سخاءً، والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله كان الذائر لله أعظم أجراً.

والقول الثاني: أن المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر؛ لأن ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى⁽¹⁾.

والآية محتملة للمعنيين.

وهنا أيضاً قال: (كثيراً) أي: ذكراً كثيراً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (واذكروا الله كثيراً) قال: لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٤٨٩/١٥.

حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ} [النساء: 103].

بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال⁽¹⁾، وهذا دليل آخر على وجوب الذكر. (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم⁽²⁾؛ لأن مقاتلة الكافر إن كانت لأجل طاعة الله تعالى كان ذلك جاريًا مجرى بذل الروح في طلب مرضاة الله تعالى، وهذا هو أعظم مقامات العبودية، فإن غلب الخصم فاز بالثواب والغنيمة، وإن صار مغلوبًا فاز بالشهادة والدرجات العالية، أما إن كانت المقاتلة لا لله، بل لأجل الثناء في الدنيا، وطلب المال لم يكن ذلك وسيلة إلى الفلاح والنجاح⁽³⁾.

فالفلاح في هذه الآية له أوجه:

أحدها: على رجاء الفلاح.

والثاني: أي: لكي تفلحوا.

والثالث: على قطع وجوب الفلاح إذا فعل ذلك؛ بما قالوا: إن (لعل) و(عسى) من الله تعالى واجبة⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الطبري في تفسيره ١٦٤/٩.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١٣/١١.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي ٤٨٩/١٥.

(4) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ١٤/١٠.

والحاصل: أن (تُفْلِحُونَ) مضارعُ (أَفْلَحَ الرَّجُلُ يُفْلِحُ فهو مفلحٌ): إذا نالَ الفلاحَ،
والفلاحُ يطلقُ في لغةِ العربِ إطلاقينِ معروفينِ مشهورينِ:

أحدهما: تطلقُ العربُ الفلاحَ بمعنى الفوزِ بالمطلوبِ الأكبرِ، فكلُّ من فازَ بالمطلوبِ
الذي كانَ يهتمُّ بهِ جدًّا، وهو من أكبرِ مطالبه، تقولُ العربُ: أفلحَ هذا، أي: فازَ بما
كانَ يطلبُ، وهذا معنى معروفٌ في كلامِ العربِ.

والإطلاقُ الثاني: هو إطلاقُ العربِ الفلاحَ على البقاءِ السرمديِّ في النعيمِ، فالعربُ
تقولُ: أفلحَ هذا: إذا كانَ باقيًا خالدًا في نعيمِ سرمديِّ، وهذا المعنى معروفٌ مشهورٌ
في كلامِ العربِ أيضًا.

والخلاصةُ: أننا أمرنا بالذِّكرِ على كلِّ حالٍ نكونُ عليها في الحربِ، كما يدلُّ على
ذلكَ السياقُ، فأجدرُ بأنْ نُؤمِّرَ بهِ في حالِ السِّلْمِ، إلَّا أنَّ المؤمنينَ في جهادٍ مستمرٍّ،
وحروبٍ دائمةٍ، فهمُ تارةً يجاهدونَ الأعداءَ، وأخرى يجاهدونَ الأهواءَ، ومن ثمَّ أمرهمُ
اللهُ بالذِّكرِ في كثيرٍ من الآيِ (1).

رابعًا: النجاةُ من البلاءِ:

ومن فوائِدِ الذِّكرِ: النِّجاةُ من البلاءِ، قالَ تعالى: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ*
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات: 143 - 144].

(1) تفسير المراغي ٥ / ١٤٣.

يقول تعالى ذكره: (فلولا أنه) يعني: يونس عليه السلام (كان من المسبحين) من
 الذّكرين الله قبل ذلك، وكان عليه السلام كثير الذكر، وقال ابن عباس رضي الله
 عنهما: من المصلين، وقال وهب: من العابدين، وقال الحسن: ما كانت له صلاة في
 بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحاً، وقال الضحّاك: شكر الله تعالى له طاعته
 القديمة، وقيل: فلولا أنه كان من المسبحين في بطن الحوت، قال سعيد بن جبير:
 يعني: قوله: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87]⁽¹⁾، وكلُّ الأقوال
 صحيحة، والأخير أقرب.

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إنَّ العبد إذا كان له دعاء في السرِّ، فإذا نزل به
 البلاء قالت الملائكة: عبدك نزل به البلاء، فيشفعون له فينجيه الله، فإذا لم يكن له
 دعاء قالوا: الآن فلا تشفعون له، بيانه: لفظة فرعون: {آلآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ} [يونس:
 91]⁽²⁾.

والمقصود: أن من فوائد الذكر النجاة من الكروب، كما ذكر الله من حال يونس عليه
 السلام أنه كان من الذّكرين الله قبل البلاء، وفي البلاء، فذكره الله في حال البلاء،
 فأنقذه ونجّاه.

(1) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٤/٤٧.

(2) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٢/٢٠.

خامسًا: اطمئنانُ القلوبِ:

ومن فوائدِ الذِّكْرِ: حصولُ الطُّمَأْنِينَةِ، وقد مدَحَ اللهُ قَوْمًا اطمأنت قلوبهم بذكره. قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

قوله: (تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: تسكن قلوبهم، وتستأنس بذكر الله⁽¹⁾.

وفي هذا الذِّكْرِ قولان:

أحدهما: أنه القرآن؛ لأنه يسمَّى ذكْرًا، كما قال تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ۗ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} [الأنبياء: 50].

وقال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، لأنه آيةٌ بيّنةٌ تُسكنُ القلوبَ، وتثبتُ اليقينَ فيها.

والثاني: ذكرُ اللهِ على الإطلاقِ.

وفي معنى هذه الطُّمَأْنِينَةِ قولان:

أحدهما: أنها الحبُّ له والأنسُ به.

والثاني: السُّكُونُ إليه من غيرِ شكٍّ، بخلافِ الذين إذا ذُكِرَ اللهُ اشمأزت قلوبهم، والمعنى: تطمئنُّ القلوبُ التي هي قلوبُ المؤمنين؛ لأنَّ الكافرَ غيرَ مطمئنٍ القلبِ⁽²⁾.

(1) جامع البيان، الطبري ٥١٨/١٣.

(2) زاد المسير، ابن الجوزي ٤٩٤/٢.

والمعنيان مرادان، ولا تعارضَ بينهما، فذكرُ اللهِ تسيحهُ وتهليلهُ وتكبيرهُ، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ به القرآنُ.

قال السَّعدي: ثمَّ ذكرَ تعالى علامةَ المؤمنينَ، فقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ^{عَلَى}) أي: يزولُ قلقُها واضطرابُها، وتحضرُها أفرحُها ولذاتُها (ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: حقيقٌ بها وحرِيٌّ أن لا تطمئنَّ لشيءٍ سوى ذكره، فإنَّه لا شيءٌ ألدُّ للقلوبِ، ولا أشهى ولا أحلى من محبَّةِ خالقِها، والأنسِ بهِ ومعرفةِها، وعلى قدرِ معرفتها باللهِ ومحبَّتها له يكونُ ذكرُها له، هذا على القولِ بأنَّ ذكرَ اللهِ ذكرَ العبدِ لربِّه، من تسيحٍ وتهليلٍ وتكبيرٍ وغيرِ ذلك.

وقيل: إنَّ المرادَ بذكرِ اللهِ كتابهُ الذي أنزلهُ ذكرى للمؤمنينَ، فعلى هذا معنى طمأنينةِ القلوبِ بذكرِ الله: أنَّها حينَ تعرفُ معاني القرآنِ وأحكامه تطمئنُّ لها، فإنَّها تدلُّ على الحقِّ المبينِ المؤيِّدِ بالأدلةِ والبراهينِ؛ وبذلك تطمئنُّ القلوبُ، فإنَّها لا تطمئنُّ القلوبُ إلا باليقينِ والعلمِ؛ وذلك في كتابِ الله، مضمونٌ على أتمِّ الوجوهِ وأكملها، وأمَّا ما سواه من الكتبِ التي لا ترجعُ إليه فلا تطمئنُّ بها، بل لا تزالُ قلقةً من تعارضِ الأدلَّةِ، وتضادِّ الأحكام⁽¹⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤١٧.

سادساً: مغفرة الذنوب:

ومن فوائد الذكر: مغفرة الذنوب.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 135 - 136].

فهؤلاء إذا فعلوا فاحشةً بادرُوا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها.

(أُولَٰئِكَ) الموصوفون بتلك الصفات (جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) تزيل عنهم كل محذور (وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) فيها من النعيم المقيم، والبهجة والشور والبهاء، والخير والشور، والقصور والمنازل الأنيقة العليات، والأشجار المثمرة البهيّة، والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبات (خَالِدِينَ فِيهَا) لا يحولون عنها، ولا ييغون بها بدلاً، ولا يغيّر ما هم فيه من النعيم (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) عملوا لله قليلاً، فأجروا كثيراً، وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملاً موفراً⁽¹⁾.

والمقصود: أنهم حصلوا على هذه المغفرة من الله تعالى، والجنات، والخلود فيها

بسبب الاستغفار، وهو ذكر من الأذكار.

وفضائل الذكر لا تحصى ولا تعد.

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٤٩.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَغْفِرَ لِمُؤَلِّفِهِ وَقَارِئِهِ

وَنَاشِرِهِ وَوَالِدِيهِمْ وَمَشَايِخِهِمْ

وَالْمُسْلِمِينَ

آمِينَ.

تَمَّ الْكِتَابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ